مجلة علمية دولية محكمة نصف سنوية
تصدر عن مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة جامعة تيسمسيلت/الجزائر
ISSN 2571-9882 EISSN 2600-6987
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/297
Contemporary Studies is a bi-annual open access International double-blind journal. It is published by the University of Tissemsilt, Algeria.

المجلد: 05 / العدد: 02 / (2021)، ص305–316

المقاصد الحجاجية اللّغوية في الخطب المنبرية الدينية –خطبة "أهمية اللغة العربية" لمحمد راتب النابلسي أنموذجا-

The linguistic argumentative purposes in religious sermons - the sermon- "The Importance of the Arabic Language" by Muhammad Ratib Al-Nabulsi - as a model

وداد بوصبيع*
alihammoudine@gmail.com
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب
(الجزائر)

د.علي حمودين
bousbia.widad@univ-ouargla.dz
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
مخبر النقد ومصطلحاته
(الجزائر)

تاريخ الاستلام:2021/06/20 تاريخ القبول:2021/08/22 تاريخ النشر:2021/12/02

ملخص:

جاءت هذه الدّراسة من أجل تتبّع المقاصد الحجاجية اللّغوية في الخطب المنبرية الدينية على اعتبار أنّ الحجاج اللّغوي أحد الآليات التي يتخذها المحاجج للتأثير في الطرف الآخر وإقناعه.

وبما أنّ الخطب المنبرية الدينية من الخطابات التي يتجسّد فيها الحجاج بدرجة عالية جدا فقد وقع اختيارنا عليها وبالتحديد على خطبة دينية مؤثرة معنونة بـ:" أهمية اللغة العربية " لـ:مُحَمَّد راتب النابلسي؛إذ وجدناها مكانا خصبا لتجلي الآليات اللّغوية بوضوح محاولين إجلاء المقاصد الرّامية إليها استنادا لتواترها في الخطبة.

كلمات مفتاحية: التداولية ، المقاصد ، الحجاج، إقناع ، أهمية اللغة العربية .

Abstract:

This study came in order to track the linguistic argumentative purposes in religious sermons, considering that the linguistic argument is one of the mechanisms that the argumentation takes to influence and persuade the other party.

Since religious sermons are among the discourses in which the argumentationis embodied in a very high degree, we chose an influential religious sermon entitled: "The Importance of the Arabic Language" by:Muhammad Ratib al-Nabulsi, as we found it a fertile place for the

*المؤلف المرسل.

linguistic mechanisms to be clearly manifested, trying to clarify the purposes aimed based on its frequency in the sermon.
Keywords: pragmatics; purposes ; argumentation ; persuasion ; the importance of the Arabic language .

مقدمة:

تُعدّ التداولية من أحدث الاتجاهات اللّغوية الحديثة والمعاصرة،لأنها من أكثر العلوم اللّسانية حيوية واهتماما بمعالجة جميع القضايا المرتبطة بالتواصل الإنساني الذي يدرس الظواهر اللّغوية في مجال استعمالها. وهي تعني التبدّل والتحوّل والانتقال من حال إلى آخر[1]، ما يستوجب وجود أكثر من طرفين في عملية التبدّل، ، ولعلّ محاولة الوقوف على تعريف موحّد لها أمر من الصعوبة بمكان، نظرا لسعة مجالاتها وميادينها وكذلك لتداخلها مع علوم أخرى"فهي اتّجاه في الدراسات اللّسانية يُعنى بأثر التّفاعل التّخاطبي في موقف الخطاب ويتتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللّغوية والخطابية المتعلقة بالتّلفظ وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"[2]،لذلك نجد أنّ التداولية تهتم بمقاصد المتكلمين في سياق الاستعمال، وبالتالي فهي تبحث في العلاقة بين متكلم معين وسامع معين بلفظ معين في سياق تواصلي معين وغرضها في ذلك كلّه الإبلاغ والإقناع، وما الحجاج ومقاصده إلا فرع من فروعها.

ولأنّ الخطب المنبرية الدينية لا تتمّ إلاّ وفقا لعملية تواصلية تستوجب تلفظا موجها من الخطيب (المتكلم) إلى سامع (الجمهور) حول قضية معينة، مراعيا في ذلك سياقا اجتماعيا بهدف الإبلاغ والإقناع فقد آثرناها مجالا للدراسة، على أننا سنوجه اهتمامنا لخطبة منبرية مؤثرة معاصرة للشيخ مُحَمَّد راتب النابلسي موضوعها" أهمية اللّغة العربية "خاصة في ظل التّهميش الذي تعاني منه هذه اللّغة من لدن أبنائها وغيرهم، محاولين في ذلك الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي المقاصد الحجاجية اللّغوية التي وظفها النابلسي في خطبته؟ وما مدى نجاعتها وتأثيرها في الجمهور أثناء عملية التّواصل؟

ومن أجل ذلك ارتأينا تقسيم المقال إلى محورين تناولنا في الأول: المقاصد الحجاجية الماهية والمفهوم. وفي الثاني تطرقنا إلى المقاصد الحجاجية اللّغوية في الخطبة المنبرية الدينية "أهمية اللّغة العربية" للشيخ محمد راتب النابلسي .

أولا: المقاصد الحجاجية : الماهية و المفهوم

1* المقاصد:

إنّ لفظ المقاصد من الألفاظ المستخدمة في الدّرس التداولي على اعتبار أنّها مرتبطة بعملية التواصل وبخاصة أثناء الاستعمال الفعلي للّغة في خطابات تتكئ على الحجاج قصد الإقناع.

1-1 المقاصد لغة: المقاصد جمع مفرده "مَقْصَد"وهو مأخوذ من الجذر الثلاثي لمادة "ق ص د" والتي تعني في لسان العرب"استقامة الطريق، قَصَدَ يَقْصدُ قَصْدا فهو قَاصِد"[3]وعند الجواهري المقاصِد من"مَقْصَد مصدر ميمي:اتجاه، نقول: مَقَاصِد موضع القصد: مقصديّ الغاية"[4] ومنه فالمقاصد هي استقامة الطريق و غايته.

2-1 المقاصد اصطلاحا:تختلف تعريفات المقاصد باختلاف المجال الذي تنتمي إليه فهذا" الطاهر بن عاشور" يعرفها بقوله:هي الأعمال والتصرفات المقصودة لذاتها والتي تسعى النفوس إلى تحصيلها بمساع شتى أو تُحمل على السعي إليها امتثالا وتلك تنقسم إلى قسمين، مقاصد للشرع، ومقاصد للناس في تصرفاتهم"[5]،كما عرفها "طه عبد الرحمن" بناء على مبدأ التصديق في الفعل؛ إذ نجده يعتبر القصد هو ذاته المعنى وهو قائم عليه في أنواع المعاملات والعقود الشرعية ويحيلنا على ذلك المبدأ التداولي والذي سماه بمبدأ التصديق كما صاغه بقوله: لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك[6].

لهذا يمكن أن نقول إنّ المقاصد لا تظهر إلا أثناء كلام المتكلم في عملية تخاطبية، وكلّما أدرك المخاطب تلك المقاصد كلّما استطاع الوصول إلى درجة معينة من الاقتناع أو بالأحرى يتمّ تفعيل عملية التّأثير والتّأثر.

2* الحجاج:

2-1 الحجاج لغة: يقول الجوهري في صحاحه:"...يقال حَاجَجْتُ فلانا فحَجَجْتُه أي غلبته بالحجة، وذلك الظّفر يكون عند الخصومة، والجمع حُجج والمصدر الحِجاج"[7]،لهذا فإنّ المعاني اللّغوية للحجاج لا تخرج عن التّخاصم والدليل والبرهان وكذا الغلبة.

2-2 الحجاج اصطلاحا: وردت عدّة تعريفات للحجاج قديما وحديثا نشير منها إلى تعريف"طه عبد الرحمن" الذي يرى أنّ" الحجاج كل منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[8].فالتّلفظ ضروري لكي يكون الحجاج أنجع ،فهو كل كلام يبعث به المتكلم إلى الطرف الآخر قصد إيصال فكرة عالقة في ذهنه، ويعمل جاهدا على إفهامه إياها وللطرف الآخر حرية رفضها والمطالبة بالأدلة والبراهين الدّالة على صحة دعوى المتكلم وبهذا " يكون الحجاج هو أصل كل خطاب كونه يتضمّن علاقة تخاطبية قائمة على القصدية"[9].

مفهوم المقاصد الحجاجية: هي تلك المعاني الكامنة خلف الآليات والتقنيات الحجاجية؛ لغوية كانت(ألفاظ تعليل، تراكيب شرطية، أو أفعال لغوية ...إلخ) أم بلاغية أم شبه منطقية...التي يضمنها متكلم معين كلامه للتأثير في المخاطب وبالتالي إقناعه و إذعانه.

وللوصول إلى درجة التأثير والإقناع تلك، يجب فهم مقاصد الخطيب التي لن تكون إلاّ بمراعاة الخطيب لنوعية الجمهور الذي يخاطبه منذ البداية[10]لهذا فإنّ اختيار المقاصد الحجاجية يجب أن يخضع لمعايير وسياقات مختلفة ملائمة لذلك المخاطِب وإلاّ بقي كلاما مجردا لا وقع له.

ثانيا: المقاصد الحجاجية اللّغوية في الخطب المنبرية الدينية– خطبة "أهمية اللّغة العربية" لمحمد راتب النابلسي:

1* الخطب المنبرية الدينية :

لغة:ورد في مختار الصحاح"الخَطْبُ"سبب الأمر.تقول: ما خطبُك ؟ قلت: قال الأزهري: أي ما أمرُك؟ ونقول هذا خَطْبٌ يسير وجمعه خُطُوب ، وخاطَبه بالكلام مخاطبة وخِطابا"[11] فالخطبة إذن بمعنى الأمر والشأن.

أما اصطلاحا: فهي فن مخاطبة الجماهير للتأثير فيهم واستمالتهم[12]، وهي أيضا رسالة لغوية وغير لغوية يلقيها خطيب معين على جمع من المخاطبين، يقصد من خلالها التأثير فيهم ومن ثمّ إقناعهم بوساطة حجج وأدلة وبراهين يثبت بها صحة دعواه وفكرته المراد إيصالها إليهم.

2* خطبة " أهمية اللغة العربية" لمحمد راتب النابلسي في سطور:

"أهمية اللغة العربية"هي إحدى الخطب المنبرية الدينية التي ألقاها الشيخ مُحَمَّد راتب النابلسي والتي نشرت في موقع ملتقى الخطباء يوم:2014/01/15م الموافق لـ: 1435/03/14هـ

استهل الخطيب خطبته الأولى بالحمد والثناء على الله تعالى الهادي، المنعم، المرشد من الضلال، ثم الصلاة والسّلام على خير خلق الله مُحَمَّد وآله وصحبه ومن والاه، ثم دخل مباشرة في محاور الخطبة.

أشار في محورها الأول إلى" أهمية اللّغة العربية" مستشهدا على ذلك بآيات من الذّكر الحكيم بالتّحديد من سورة يوسف:2، طه:113، الشعراء:193-195، فصلت:3، الزخرف:3.ومنه إلى المحور الثاني المتعلق بـ :" **أقوال أعلام الأمة العربية عن اللّغة العربية**" ليشير إلى ما قاله الصحابة رضوان الله عليهم وما قاله بعض أعلام الأمة في هذا الموضوع من ذلك ما قاله الثعالبي: "من أحب الله أحب رسوله – صلى الله عليه وسلم- ومن أحب النبي العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحبّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب"[13]

في المحور الثالث تطرق إلى أنّ"**تعلّم اللّغة العربية من الدين**" ليدعو في ذلك إلى الاهتمام بهذه اللّغة خاصة لفئة الأطفال المغتربين لأنّ تعلمها والاهتمام بها فرض واجب مرتبط بتعلم القرآن الكريم وفهم أحكام الدّين لذلك ذكّر الخطيب الجمهور في المحور الرابع بـ" **اهتمام العرب قديما باللّغة العربية وعلومها**" حيث استجلب أبيات شعرية مشهورة للشاعر حافظ إبراهيم عن اللّغة العربية.

إنّ الخصائص التي جعلت اللّغة العربية تتمتع بهذا التّشريف بالإضافة إلى علاقتها بالدّين الإسلامي، هي أنّها "**من أوسع اللّغات الإنسانية** "وهو الموضوع الذي أشار إليه الخطيب في المحور الخامس؛حيث استدلّ على ذلك بالعديد من الظواهر التي تتمتع بها هذه اللّغة دون سواها كالاشتقاق بأنواعه، الإعراب ومناسبة الحرف لمعناه ...إضافة إلى أنّها لغة الضّاد، هذا ناهيك عن مرونتها وحيويتها واتّساعها في التعبير وغيرها من المميزات الكثير. وقد كان الخطيب في كلّ ذلك يستجلب أمثلة توضيحية شارحة لكلامه، ليختمها بذكر الهدف من الخطبة ككل والمتمثل في أن يتعرّف العرب عن قيمة لغتهم وأن يعرفوا علاقتها بالدين وأنّ الإنسان إذا علّم أولاده اللّغة العربية وجعلهم يتعلّقون بها كانت عونا لهم على فهم الكتاب والسنّة.

أمّا الخطبة الثانية فبعد الحمد والثناء والصلاة والسّلام على خير البشر تحدّث فيها عن المحور السادس المتمثل في:"**اللّغة العربية عون لنا على فهم الكتاب والسنة**".

3* المقاصد الحجاجية اللّغوية في خطبة " أهمية اللّغة العربية":

أولا: ألفاظ التعليل:

من الأدوات اللّغوية التي على الخطيب توظيفها أثناء حجاجه"ألفاظ التعليل" والتي من شأنها أن تربط بين المقدمات والنتائج تبريرا وتعليلا وبيانا للسبب ومن بينها: لأنّ، المفعول لأجله،...

لأنّ:"تعدّ لأن من ألفاظ التعليل بل هي من أهمها، فقد يبدأ المرسل خطابه الحجاجي بها في أثناء تركيبه، وتستعمل لتبرير الفعل كما تستعمل لتبرير عدمه"[14].

لقد وظّف الشيخ مُحَمَّد راتب النابلسي"لأنّ" في خطبته أربع مرات.ففي موضع حديثه عن الاهتمام باللّغة العربية بالنسبة للأطفال المهاجرين يقول:"حينما أسافر وأجتمع مع أبنائهم لا بدّ من ترجمة فورية؛ لأنّ أبناء المسلمين في معظم المهاجر لا يتكلمون العربية وهذا يضيّع هويتهم"[15]

فقد كان مقصد الإمام واضحا من خلال تقديمه للحجة–السبب– المتمثل في الترجمة اللّغوية للأبناء الذين لايقطنون ببلدان عربية، ليقدم بعدها النتيجة التي يرمي إليها وهي الحفاظ على الهوية من الضياع.

ويقول في موضع آخر:"تعلّم اللّغة العربية فرض واجب، الدليل:لأنّ فهم الكتاب والسنة فرض واجب"[16]حيث أتى المحاجج بحجته السببية بطريقة استلزامية؛ فبما أنّ فهم الكتاب والسنة فرض واجب فإنّ الأولى فهم لغة هذين الأخيرين.وبالتالي فاللّغة العربية هي أيضا فرض و واجب.

المفعول لأجله:هو مصدر يدلّ على سبب ما قبله ويشارك عامله في صفته وفاعله وهو ثلاثة أقسام قياسية:مجرّد من"أل" والإضافة، ومضاف، ومقترن بـ"أل"[17] وهو من ألفاظ التعليل الحجاجية. وقد تكرر في الخطبة في ست مواضع نذكر منها:

ورد على لسان الخطيب :"تعلموا العربية فإنّها من الدّين من أجل أن تقرأ القرآن، من أجل أن تفهم أحكام الدين"[18]

فنلاحظ أنّ الخطيب استجلب"من أجل" هنا قصد ربط العلّة بنتيجتها شرحا وتفصيلا على النحو الآتي:

العلّة: تعلّم العربية

النتيجة : إنّها من الدّين

الشرح والتفصيل: قراءة القرآن – فهم أحكام الدّين

فالخطيب يحاول إيصال مقصده للجمهور من خلال هذه الحجّة المتمثلة في أنّه لا يمكن قراءة القرآن ولا فهم أحكام الدّين من دون تعلم العربية فالعلاقة بينهما وثيقة وغير قابلة للفصل.

ثانيا: التراكيب الشرطية:

يُعدّ الشرط أسلوبا لغويا يُحمل على جزئين، الأول السبب والثاني المسبب ويتحقق الثاني إذا تحقق الأول وينعدم الثاني إذا انعدم الأول لأنّ وجود الثاني مرتبط بوجود الأول[19].وهو يتكون من أداة الشرط، وجملة فعل الشرط، وأخيرا جملة جواب الشرط والجزاء، فتمثل الجملة الأولى الحجة والجملة الثانية النتيجة.

وقد حصرنا من التراكيب الشرطية في الخطبة اثنين وعشرين تركيبا نختار منها قول الخطيب: "فلمّا خصّ– جلّ ثناؤه– اللّسان العربي بالبيان عُلم أنّ سائر اللّغات قاصرة عنه، وقال الثعالبي: من أحبّ الله أحبّ رسوله–ﷺ– و من أحبّ النّبي العربي أحبّ العرب و من أحبّ العرب أحبّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب"[20] فالخطيب هنا استعمل أكثر من تركيب شرطي واحد.

فالتركيب الأول يتكوّن من الأداة "لمّا"و جملة فعل الشرط " خصّ – جلّ ثناؤه– اللّسان العربي بالبيان" كحجّة له، وجملة الجواب"عُلم أنّ سائر اللّغات قاصرة"كنتيجة، وبالتالي فإنّ العلم بقصور بقية اللّغات

مرهون بما خصه الله تعالى للسان العربي بالبيان، قاصدا من وراء ذلك إثبات أفضلية اللّغة العربية عن بقية لغات العالم التي يدّعي أهلها السيادة والرّيادة.

أما التراكيب الشرطية الأخرى فقد وردت في قول الثعالبي تباعا والقصد منها أن حبّ اللّغة العربية مرتبط بحبّ الله ورسوله بطريقة استلزامية على النحو الآتي:

أداة الشرط	جملة فعل الشرط(الحجة)	جملة جواب الشرط(النتيجة)
من	أحبّ الله	أحب رسوله ﷺ
من	أحبّ النبي العربي	أحبّ العرب
من	أحبّ العرب	أحبّ العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب

إذن فإنّ حبّ الرسول مرهون بحبّ الله تعالى وحبّ العرب مرهون بحبّ النّبي العربي وحب العربية مرهون بحبّ العرب وكلّها تراكيب شرطية القصد منها الدفاع عن اللّغة العربية وأهميتها.

كما أورد الخطيب تركيبا شرطيا في قوله:"لكنّ التّبحر في اللّغة والتعمق والتفرغ هذا فرض كفاية إذا قام به البعض سقط على الكل"[21]في موضع حديثه عن وجوب تعلم اللّغة لأنّها من الدّين، أمّا التّعمق والتّدقيق فيها فيبقى لأهل الاختصاص، فالأداة التي استخدمها "إذا".جملة فعل الشرط "قام به البعض"(حجة).وجملة الجواب والجزاء"سقط عن الكل"كنتيجة، إذن كي يسقط حكم التّعمق والتّفرغ على الجميع أمر مرهون بأن يقوم به البعض.

فالخطيب يقصد الإشارة إلى أهمية اللّغة العربية في الحدود التي يمكن للإنسان من خلالها تعلم أحكام دينه وقرآنه، أما التّبحر والغوص فيها فحكر على فئة خاصة فقط.

ثالثا: الأفعال اللّغوية:

يمكن تعريف الأفعال اللّغوية على أنّها " أفعال قولية يُتوسل بها تحقيق أغراض إنجازية ، كالطلب أو غايات تأثيرية تخصّ ردود فعل المتلقي ومن ثمّ تطمح أن يكون ذا تأثير في المخاطِب، ومن ثمّ إنجاز شيء ما"[22]

وقد قسم"سيرل" الأفعال اللّغوية إلى خمسة أصناف وهي:الإخباريات (التقريريات)، التوجيهيات، الالتزاميات(الوعديات)، التعبيريات، الإعلانيات[23] وكلّها تساهم في العملية الحجاجية.

الإخباريات:أشار"عبد الهادي بن ظافر الشهري" إلى ذلك بقوله:"يستعمل المرسَل أغلب أصناف الفعل التقريري إن لم يكن كلّها ليعبّر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أو الإدّعاء ولتدعيم وجهة نظره أو التّراجع عنها عند اقتناعه بأنّها لم تعد صالحة

كما يعبّر بها عن تنازله عن دعواه، وكذلك لتأسيس النتيجة"[24]وبعد النظر في الخطبة وجدناها تشتمل على واحد وأربعين خبرا منها المثبت والمنفي نذكر منها:

قول الخطيب:"إنّ تعلّم العربية من الدّين"[25]،فهو يحاول إقناعنا بضرورة تعلم اللّغة العربية قاصدا توجيهنا لأهميتها في تعلّم أمور الدين.

وقوله أيضا:"والله لا أبالغ؛ تعلّمنا في الجامعة أنّ اللّغة العربية من أوسع اللّغات الإنسانية بشهادة أعداء الأمة لكنّ المشكلة أنّ اللّغة تقوى بقوّة أهلها وتضعف بضعفهم، هي تُعدّ من أرقى اللّغات الإنسانية"[26]

نلاحظ هنا أنّ الخطيب يُقرّ و يُخبر بعدم مبالغته في كلامه ولتأكيد ذلك استعمل القسم بـ:"والله" دلالة على أنّ كلامه يقين صادق في الإخبار الأول، ثمّ يُقرّ ويُخبر ثانيا أنّ اللّغة العربية من أوسع اللّغات الإنسانية ويشهد لها على ذلك أعداؤها، ثمّ يُقرّ ويُخبر ثالثا أنّ هذه اللّغة لا يمكن لها بأيّ حال من الأحوال أن تقوى أو تضعف وحدها بل بأهلها.

إنّ مقصد الخطيب من وراء هذه الإخباريات هو الإقرار بأهمية اللّغة العربية وكذا ريادتها عن بقية اللّغات ولكنّ ذلك لن يكون ما لم يكن هناك اعتراف بها من قبل أهلها.

كما نجد الخطيب يقول في سياق حديثه عن هبّة اللّغويين بجمع اللّغة وتدوينها– بعد دخول كثير من العرب في دين الإسلام – خشية اللّحن وذلك في القرن الثاني الهجري:"فارتحلوا إلى البوادي التي لم يختلط أهلها بالأعاجم"[27]حيث استعمل الخطيب النّفي بـ" لم" ليخبر الجمهور بعدم اختلاط أهل البادية بالأعاجم.ومقصده في ذلك هو الوصول إلى نتيجة حجاجية مفادها أنّ اللّغويين أثناء جمعهم اللّغة وتدوينها لم يأخذوا ممن ليسوا بعرب وبالتالي أخذوها من منابعها الأصلية.

التوجيهيات: للتوجيهيات غرض إنجازي يتمثل في محاولة المتكلم توجيه المخاطب نحو فعل شيء ما أو الانتهاء منه كالأمر والنهي والنداء والرجاء والاستعطاف ...الخ

النداء:من الآليات التوجيهية القائمة على تهيئة المتلقي لأمر يريد المرسِل تبليغه إياه وهو"طلب الإقبال أو تنبيه المنادى وحمله على الالتفات بأحد حروف النداء"[28]بغرض الإصغاء ولفت الانتباه.

وبالوقوف على الخطبة التي بين أيدينا تبيّن لنا أنّ الخطيب وظّف النداء تسعة عشرة مرّة بعبارات متشابهة؛ "أيّها الإخوة الكرام"أو "أيّها الإخوة" والملاحظ هنا أنّ الخطيب استغنى عن آداة النداء"يا" التي تُستعمل لنداء البعيد، ممّا يوحي بمحاولة نزع الحواجز بينه وبين جمهوره من جهة،و من جهة أخرى التذكير بالأخوة الإسلامية وبالتالي تحريك عاطفتهم الدينية واستمالتهم كي يضمن إذعانهم أكثر، ونعت الإخوة بالكرام في هذا النداء فيه من الاحترام والتقدير اللّذين يلقيهما الخطيب على جمهوره فينسحب ما فيهما من جذب فيفعلان فيهما فعل السحر...

الأمر:أسلوب الأمر من بين الأساليب المستعملة في التوجيه الحجاجي، هذا لأنّه "طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء حقيقيا كان ذلك الاستعلاء أو ادعائيا"[29]بأغراض مختلفة منها:الحث، الدّعاء، التمني، التهديد وغيرها.

وبعد ولوجنا للخطبة وجدنا أسلوب الأمر تردد ثلاثين مرّة نذكر منها:

النصح والحث:في قوله:"تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة"[30]وقوله:"تعلموا العربية فإنها من الدين"[31].ففي هذا نصح وإرشاد واضح يبثّه الخطيب إلى المتلقي كي يحبّبه في اللّغة ويحفّزه للاهتمام بها فهي مرتبطة بالدين الإسلامي، وبالتالي فحجة الخطيب كانت باللّفظ الصريح قصد التّوجيه والحث...

التهديد والوعيد: ورد في موضع من الخطبة قوله:"حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا"[32] فالأمر في هذه الحجة كان مرفقا بلغة التهديد والوعيد(حاسبوا، زنوا، اعلموا. فلنتخذ)؛إذ يجد المحاجِج نفسه – في بعض الأحيان– محتاجا إلى توظيف هذا الأسلوب كي يُحدث وقعا في نفس المتلقي، فالترغيب وحده لا يكفي بل التحذير أيضا بغرض إقناعي طبعا.

التأمّل و التدبّر:حيث استحضر الخطيب في خطبته قول الشاعر :

انظر لتلك الشجرة ...ذات الغصون النظرة
فابحث و قل من ذا الذي ...يخرج منها الثمرة
وانظر إلى الشمس التي...جذوتها مستعرة
وانظر إلى اللّيل فمن... أوجد فيه قمره
وانظر إلى الغيم فمن... أنزل فيه مطره[33].

فالأمر هنا كلّه(انظر لتلك الشجرة، فابحث، وقل، وانظر إلى الشمس، وانظر إلى اللّيل، وانظر إلى الغيم) جاء كحجة للإنسان قصد التأمل والتدبّر في عظمة الخالق من خلال النظر بالعين(التأمل) والبحث بعقل(التدبّر) وذلك كلّه بغرض إقناع المتلقي بقدرة الله على تسيير شؤون الكون فيزداد قُربا و إيمانا ومن ثمّ تعلّقا واهتماما باللّغة العربية .

رابعا: الوصف:

و يشمل:

الصفة (النعت): تُعدّ شكلا حجاجيا يستعين به المتكلم قصد إقناع المتلقي على اعتبار أنّ النعت"يرتبط بإرادة المتكلم إقناع مخاطبه وتغيير الحكم الذي لديه، باللّجوء إلى الوصف المذكور ليتحقق في ذهنه ويعلق به"[34]

بلغ عدد الصفات الواردة في المدوّنة مئة واثنين وأربعين صفة، استعملها المحاجِج قصد إيقاظ الضمير العربي من أجل الاهتمام بلغته والاعتراف بأنّها لغة راقية تتميز بخصائص غير موجودة في اللّغات الأخرى. نذكر من ذلك قوله:"وأنا لا أقصد باللّغة العربية اللّغة العامية التي يتداولها النّاس أقصد باللّغة العربية اللّغة الصحيحة التي نزل بها القرآن الكريم"[35]

ففي هذه الحجة حاول الخطيب التفريق بين اللّغة العامية(لغة الحديث اليومي) واللّغة العربية الفصيحة، فاستعان بمجموعة من النعوت (العامية، التي يتداولها الناس، الصحيحة، التي نزل بها القرآن الكريم) وكل

ذلك من أجل إيصال مقاصده للمتلقين والمتمثلة في الاهتمام باللّغة الفصيحة الصحيحة، لغة القرآن، فليس كل متحدث باللّغة العربية متعلم لقواعدها وأحكامها ...

وقوله في سياق حديثه عن الفرق بين اللّغات من حيث السهولة :"لا يمكن لشاب بريطاني أن يقرأ شعر شكسبير باللّغة التي كتب بها، لأن اللّغة تتبدّل هناك، أمّا طالبنا في الصف العاشر يقرأ شعر امرئ القيس وقد عاش قبل ألف وخمسمائة عام"[36]فبالإضافة للمقارنة التي أجراها الخطيب نجده استعان بالنعوت سواء في الألفاظ أو في الجمل ليثبت صحّة مقصده الذي يُدافع عنه.إنّه يدافع عن اتّساع ومرونة اللّغة العربية وحيويتها مما يستدعي الاهتمام بها وإهمالها لا يجب أن يكون على حساب الاهتمام باللّغات الأخرى الأقلّ منها.

اسم الفاعل:وهو أيضا من بين الآليات اللّغوية التي يستخدمها المتكلم أثناء كلامه كي يثبت به أمرا أو يدحضه قصد الإقناع ويمكن تعريفه بأنّه"اسم مشتق من الفعل للدلالة على وصف من قام بالفعل"[37]،كما يُعرّف أيضا بأنّه "اسم مشتق يدلّ على معنى مجرّد حادث وعلى فاعله، فلابدّ أن يشتمل على أمرين معا، هما المعنى المجرّد الحادث وفاعله"[38]وقد وظف الخطيب اسم الفاعل في خطبته ستين مرّة نذكر منها:

قوله:"فلمّا خص—جلّ ثناؤه— اللّسان العربي بالبيان عُلم أنّ سائر اللّغات قاصرة عنه"[39] ففي هذه العبارة ورد اسم الفاعل"سائر"،" قاصرة" في حجّة أتى بها الخطيب من أجل إثبات حقيقة أنّ جلّ اللّغات وما تتميز به من خصائص يشوبها النقص، وأنّ اللّسان العربي يتفرّد عنها بخاصة "البيان" الميزة المنعدمة في اللّغات الأخرى ، كيف لا وهي ميزة جعلها الله تعالى حكرا على اللّغة العربية دون غيرها، وهو بهذا يقصد الدّفاع عن اللّغة بدافع الغيرة لأنها مضطهدة حتى من قبل أهلها.

اسم المفعول:هم من أدوات الوصف الحجاجي إنّه"اسم مشتق يدلّ على معنى مجرّد غير دائم وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلابدّ من الأمرين معا وهما:المعنى المجرد وصاحبه الذي وقع عليه"[40]وقد تردد على لسان الخطيب ثلاثة وأربعين مرّة نذكر منها:

قوله:"يقول أحدكم:أنا متقدّم بالسنّ، أنا لم أعد أستطيع التّعلم، هذا كلام مرفوض"[41] فالملاحظ أنّ الخطيب استخدم الصفة على صيغة اسم المفعول(مرفوض) لغرض حجاجي وهو التأكيد على عدم قبول حجّة من أقنع نفسه بعدم استطاعته تعلم اللّغة العربية بحكم كبره في السنّ، فكلامه هذا لا يُقبل، وبالتالي فإنّ الخطيب استجلب هذه الحجة من أجل دحض الأعذار لمن اعتقد أنّ له عذر يمنعه من تعلم اللّغة العربية سواء أكان كبر السنّ أو أي عذر آخر.

وقوله في موضع آخر"نحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب، أن نحفظ قواعد اللّغة العربية وأن نصلح الألسنة المائلة"[42]

نحن نجد هنا أنّ الخطيب استعمل اسم المفعول"مأمورون" كوصف حجاجي لكل من يتكلّم العربية وجعل اسم المفعول بصيغة الجمع فيه دلالة بأنّ الخطاب والحجة موجهة للجميع، وبالتالي فإنّ مسؤولية حفظ قواعد اللّغة العربية وإصلاح الألسنة التي يعتريها اللّحن ملقاة على الجميع وهي واجبة على المتخصصين في مجال اللّغة العربية ومستحبة للبقية.

خاتمة:

وبعد كل ما قلناه سابقا نتوقف عند النتائج الآتية:

-لقد كان خطاب النابلسي في الخطبة فضاء خصبا لتوظيف الحجاج، كونه يهدف إلى إذعان و استمالة الجمهور وتوجيههم نحو قضية الاهتمام بلغته العربية لغة القرآن الكريم.

- تنويع الخطيب في آليات الحجاج اللّغوي و ما تحمله من مقصديات مختلفة حاول بشتى الطرق إبلاغها الطرف الآخر قصد إفهامه و بيان أهمية لغته التي من المفترض أن تكون مدعاة للفخر.

- اختلاف المقاصد الحجاجية للنابلسي أثناء حديثه عن أهمية اللّغة العربية يُفسّر باختلاف الآليات المختارة أثناء السياق؛ فنجده يبرّر دفاعه عن اللّغة بألفاظ التّعليل الحجاجية (لأنّ- المفعول لأجله...) مع طغيان استعمال المفعول لأجله، كما نجده ينوّه لأهمية اللّغة وقيمتها من خلال التّحاجج بالاخباريات سواء المثبتة أو المنفية؛ إذْ خصّص لها مساحة معتبرة من حجاجه.ولربط اللّغة العربية بالقرآن الكريم وأحكام الدّين وظّف النابلسي التراكيب الشرطية وقد استفاض في استخدامها هذا ناهيك عن الحجاج بالتوجيهيات كالنداء و الأمر.

- أمّا عن الحجاج بالوصف فقد شغل حيّزا كبيرا (النعت-اسم الفاعل-اسم المفعول) وقد كانت حصة الأسد للنعت، لما لها من وقع حجاجي استغله الخطيب في إيصال مقاصده إلى جمهوره.

قائمة الإحالات:

1ينظر:الزمخشري، أساس البلاغة، تح: مُحَمَّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت- لبنان، ط1، 1419-1998 ، مادة (د و ل)، ص303.

2عبد الحميد السيد، دراسات في اللّسانيات العربية بنية الجملة النحوية و التداولية علم النحو و علم المعاني، دار الحامدة للنشر و التوزيع، المكتبة الوطنية ، ط1، 2003، ص 119.

3ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مج3 ، بيروت، ط1، 1990، مادة(ق ص د)، ص253.

4 أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغة و تطورها، مكتبة لبنان ، (دط)، (دت)، ص163.

5 الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، ط2، 2007، ص51.

6ينظر:طه عبد الرحمن، اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص250.

7إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ج1، بيروت/لبنان، ط2، 1979، ص303- 304 .

8طه عبد الرحمن، اللّسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص226.

9عرابي غالية، التداولية بين الاتجاه اللّساني و تحليل الخطاب، مجلة دراسات معاصرة، المركز الجامعي تيسيمسيلت الجزائر، مج2، العدد2، جويلية 2018، ص46.

10ينظر:صابر الحباشنة، التداولية و الحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات و النشر، سورية، دمشق، (د ط)، 2008، ص70.

11مُحَمَّد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح مادة (خ ط ب) ط1 عني بترتيبه:مُحَمَّد خاطر، دار الفكر، بيروت/لبنان، 2001، ص163.

12ينظر: محمد سمير الشاوي، علم خطابة مع ذكر أشهر خطب التاريخ، دار العصماء، دمشق/سورية، ط1، 2010، ص11.

13 محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية، ملتقى الخطباء، النشر:2014/01/15، الاطلاع:2021/04/05 على الساعة:21:30 https://khutabaa.com
14عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2004، ص472.
15محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
16المرجع نفسه.
17حسين عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة و الحياة اللغوية المتجدّدة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت)، ص237-238.
18المرجع نفسه.
19ينظر: مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد، بيروت/لبنان، ط2، 1986، ص284.
20محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
21المرجع نفسه.
22مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي، تنظير وتطبيق على السور المكية، كلمة للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 1426-2015، ص134.
23ينظر:محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دت)، 2002، ص78.
24عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص482.
25محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
26المرجع نفسه.
27المرجع نفسه.
28محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع و البيان و المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس/لبنان، ط1، 2003، ص306.
29حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة المكتبة الأزهرية للتراث، ج2، مصر، (دط)، (دت)، ص89.
30محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
31المرجع نفسه.
32المرجع نفسه.
33المرجع نفسه.
34خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداولية مقاربة بين التداولية و الشعر(دراسة تطبيقية)، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، العلمة الجزائر، ط1، 2012، ص99.
35محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
36المرجع نفسه
37عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت،(دط)، (دت)، ص75.
38حسن عباس، النحو الوافي، ص237.
39محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
40حسن عباس، النحو الوافي، ص271.
41محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية.
42المرجع نفسه.

قائمة المصادر و المراجع:

الكتب:

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، مج3، بيروت، ط1، 1990، مادة(ق ص د)، ص253.

2- أحمد مطلوب، معجم مصطلحات البلاغة و تطورها، مكتبة لبنان ، (دط)، (دت)، ص163.
3- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ج1، بيروت/لبنان، ط2، 1979، ص303- 304 .
4- الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت- لبنان، ط1، 1419-1998 ، مادة (د و ل)، ص303.
5- الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، دار سحنون للنشر و التوزيع، تونس، ط2، 2007، ص51.
6- حامد عوني، المنهاج الواضح للبلاغة المكتبة الأزهرية للتراث، ج2، مصر، (دط)، (دت)، ص89.
7- حسين عباس، النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة و الحياة اللّغوية المتجدّدة، دار المعارف، مصر، ط3، (دت)، ص237-238.
8- خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداولية مقاربة بين التداولية و الشعر(دراسة تطبيقية)، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، العلمة الجزائر، ط1، 2012، ص99.
9- صابر الحباشنة، التداولية و الحجاج مداخل و نصوص، صفحات للدراسات و النشر، سورية، دمشق، (دط)، 2008، ص70.
10- طه عبد الرحمن، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص250.
11- عبد الحميد السيد، دراسات في اللّسانيات العربية بنية الجملة النحوية و التداولية علم النحو و علم المعاني، دار الحامدة للنشر و التوزيع، المكتبة الوطنية ، ط1، 2003، ص 119.
12- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت/ لبنان، ط1، 2004، ص472.
13- عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت،(دط)، (دت)، ص75.
14- مثنى كاظم صادق، أسلوبية الحجاج التداولي و البلاغي، تنظير و تطبيق على السور المكية، كلمة للنشر و التوزيع، تونس، ط1، 1426- 2015، ص134.
15- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع و البيان و المعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس/لبنان، ط1، 2003، ص306.
16- محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح مادة (خ ط ب) ط1 عني بترتيبه:محمّد خاطر، دار الفكر، بيروت/لبنان، 2001، ص163.
17- محمد سمير الشاوي، علم خطابة مع ذكر أشهر خطب التاريخ، دار العصماء، دمشق/سورية، ط1، 2010، ص11.
18- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللّغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (دت)، 2002، ص78.
19- مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد و توجيه، دار الرائد، بيروت/لبنان، ط2، 1986، ص284.

المجلات:

20- عرابي غالية، التداولية بين الاتجاه اللّساني و تحليل الخطاب، مجلة دراسات معاصرة، المركز الجامعي تيسيمسيلت الجزائر، المجلد2، العدد2، جويلية 2018، ص46.

مواقع الانترنيت:

21-محمد راتب النابلسي، خطبة أهمية اللغة العربية، ملتقى الخطباء،النشر 2014/01/15،الاطلاع 2021/04/05 على الساعة:21:30 https://khutabaa.com